

نفحات القرآن

[339] الآية التاسعة ترى (الحاكمية) بمعنى القضاء حيث تقول : (وَمَا
اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمْهُ إِلَى اللَّهِ) . أجل ، إنَّه وحده القادر على رفع
الإختلاف فيما بينهم لأنَّه عالم بكلِّ شيء وله الولاية على الجميع . وتضيف الآية : (ذَلِكَُم
إِلَّا رَّبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ اُنِّيبُ) . وهناك أقوال عديدة في تفسير هذه
الآية ، فالبعض إعتبرها ناطرة إلى الإختلافات والخصومات بين الناس الذين وجبَ عليهم
الإحتكام إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيما إعتبرها البعض الآخر إشارة إلى
الإختلاف في تأويل الآيات وتفسيرها ، في حين إعتبرها البعض الآخر ناطرة إلى الإختلاف في
العلوم المرتبطة بالمفاهيم الدينية والتكاليف وواجبات الناس مثل معرفة الروح
وأمثالها(1). ولكننا لا نرى دليلا لتحديد مفهوم الآية ، بل كما قال بعض المحقِّقين : إنَّ
الآية تشمل كلَّ قضاء سواء كان في الأحكام أو في المفاهيم الدينية أو في معنى الآيات
المتشابهة أو غيرها . إنَّ الآية هذه من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة بوضوح وهي أنَّ كلَّ
المسائل التي يحتاجها الناس قد وردت في الكتاب والسنة ، ويكون كلَّ قياس وتشريع
وأمثاله باطلا ، فلولا وجود هذه الأحكام كلَّها في الكتاب والسنة فلا معنى لإرجاع جميع
الإختلافات إلى الله فيها (تأمَّل جيِّداً) . والملاحظ أنَّ الفخر الرازي وبعض المفسِّرين قد
أقرُّوا بهذه الحقيقة واعتبروا هذه الآية من جملة الأدلَّة المبطلة للقياس في الأحكام
الفقهية(2). فالآية تقول : يجب إرجاع الحكم في جميع الإختلافات إلى الله (النبي) (صلى
الله عليه وآله وسلم) (طبعاً هو ممثِّل عن الله بين الناس) ، فلو لم يتضمَّن الكتاب
_____ 1 - نقلت هذه التفاسير الثلاثة عن المفسِّرين في روح
المعاني : ج25 ، ص15 . 2 - تفسير الفخر الرازي : 27/149 .